



كلنا نقول: «ديمقراطية».

الديمقراطية بالنسبة للمصريين، مصطلح لا يعني شيء بالنسباليهم، لإن مفيش ديمقراطية حصلت ومفيش ديمقراطية اتحققت، ومفيش ديمقراطية هتتحقق طول ما المصريين مش معترفين بيها، أو معظم الناس مش عارفين يعني إيه ديمقراطية.

احنا كده أولردي احنا في بلد ديمقراطية!

مكانش في ديمقراطية: لغاها خالص الرئيس حسني مبارك.

قبل الثورة الناس كانت مغيبة، كان في حزب مثلا اسمه الحزب الوطني الديمقراطي، تمام؟ ده كان في ناس كتير أوي فاهمة إن هي الديمقراطية إن هو الاستقرار نظام معين. بعد الثورة... تمام... احنا مشوفناش... لغاية دلوقتي، لغاية وقتنا هذا، احنا مشوفناش يعني إيه ديمقراطية... لسه أو ممكن يكون زي ما الناس بتقول برضه: «احنا سنة أولى ديمقراطية». لأ، احنا لسه حتى محصلناش كيه جي.

أنا شايفة إن كل الناس تستاهل إنها تكون عايشة في حالة ديمقراطية، بس لسه مشوفناش، فماعنديش فكرة. هل هي موجودة وممكن تحصل؟ هل احنا مهيين؟ معرفش، مش عارفة يعني إيه الديمقراطية بالضبط. ولو مكانتش حتى موجودة، الناس بقت بتفكر في الكلام ده وبقت الفكرة موجودة: الأساس موجود. أيا كان بقى هيتبني عليه ولا لأ، بس في ناس بقت تتساءل وفكرة الناس بتتساءل، دي في حد ذاتها ثورة.

ديمقراطية... هذه الكلمة التي طنطن بيها كل لسان، وأكثر كلمة أصبح ملهاش معنى محدد النهارده. كل واحد بيفسرها على مزاجه، حتى الدول المتقدمة العريقة في الديمقراطية، ليها مفهوم في الديمقراطية يختلف عن غيرها، وكل واحد ليه نموذج عايز يفرضه على الثانيين.

كل جهة شايقة بالنسب لها ديمقراطية في المصالح اللي هي شيفها لها هي شخصيا، وكمصطلحات عادمة بتكلم بيها الكلام احنا شخصيا ممكن منقاش فاهمينه.

أنا معشنتش أي حاجة اسمها ديمقراطية، فأنا المصطلح جديد عليا.

بس الديمقراطية معناها إيه يعني؟

الديمقراطية جزء من الحرية. لإن الديمقراطية احنا اللي أسسناها: تأسيس إنساني، لكن الحرية منذ خلقت البشرية حرية. يعني آدم نزل من الجنة بحريته. لما أكل من الشجرة، كان بحريته... يعني عايز يعرف إيه الشجرة، فأكل بحرية، تعامل بحرية. فجزة حريته تعاقب، فقله: «هذه حريتك، فخذ حريتك في الدنيا».

اللي أنا متخيله إن الديمقراطية إن أنا أعمل اللي أنا عايزه، أو ناس كتيرة أوي معتقدة إن دي الديمقراطية أو دي الحرية بالنسب لهم، تمام؟ احنا بنحب الفوضى وبنحب الهرجلة.

كلمة ديمقراطية، كلمة معناها... معناها جميل. ديمقراطية إن أنا أطالب بحقي النهارده، في حدود بكل أدب وشياكة. في ناس النهارده مثلا بتاخذ الديمقراطية غلط، وعدم احترام كبير! الناس تقولك: «احنا في مصر عايزين يبقى في ديمقراطية». ديمقراطية أشتت الرئيس بتاعي، ديمقراطية أشتت، أقف أشتت وزير الداخلية في التليفزيون، أشتت وزير مش عارف إيه في التليفزيون، وأقول: «دي ديمقراطية». لأ دي مش ديمقراطية، دي اسمها قلة أدب، معلش.

قلتيلي يعني «حرية» وطب يعني هعمل اللي أنا عايزه. ممكن أضرب ده؟ حرية! ما هي دي حرية. فهل الديمقراطية... إيه الديمقراطية؟ الديمقراطية إن أنا أقول حاجة متضرر، إن أنا أقول حاجة أو أعمل حاجة متضرر غيري. دي الديمقراطية. ده مفهوم الديمقراطية الصغير.

فهمنا الديمقراطية غلط. هنا الناس كل مفهومها عن الديمقراطية إن هو يشتم ويقل أدبه، ويتحرش بالبت ويصاحب بنات ويقل أدبه على البنت تبقى ماشية في الشارع مش واحدة حريتها. مثلا لو شوفنا واحدة ماشية من غير حجاب وهي مسلمة: «دي تبقى مش كويسة وحد مش محترم». واحدة عندها حرية رأي وتعبير عن رأيها: «لأ هي مفيش حد عندها في البيت». تلاقي بنت طالعة تطالب بحق زميلها اللي مات، زميلها المحبوس: «دي مش كويسة، دي كانت مصاحبة ده ومصاحبة ده».

الناس أصلا مش فاهمة يعني إيه ديمقراطية، وده بحكم مجتمعنا وثقافتنا. وللأسف دي مش حاجة ناتجة عن سنة-سنتين: حاجة ناتجة عن مليون سنة فأت.

الديمقراطية دية هي ممكن مصطلح صعب استخدامه بجد: محتاج فترة طويلة، فترة من الزمن، عشان يبتدي يبقى استخدامها استخدام جيد، إن هي الديمقراطية بتكون مبنية على الوعي، مش على الخوف. دايمًا هي مبنية على الخوف: عشان بنخاف من حاجة، بنختار الشيء اللي هيحمينا من حاجة ثانية. في الوضع، بتبقى أغلب أي انتخابات لازم يبقى في شيء يخوف، يعني، فلانم الناس يرجعوا للشخص دوه عشان يبعد عنه من الخوف دوه. ولانم الشخص قوي وليه سلطة... وأحيانًا يبقى ديكتاتور أحيانًا ناس تختار ديكتاتور. عادتًا الناس كلها عايزين ديكتاتور جديد.

طالما احنا شعب بنحب إن يبقى في ليدر، خلاص يبقى الليدر ده هو اللي يقر الديمقراطية. لو نزل قانون اللي هو إنت لما تعدي الشارع هتدفع غرامة، محدش هيعدي الشارع مش في مكانه. من النظام هيتخلق فكرة الاحترام، هيتخلق فكرة الحرية، هيتخلق فكرة إن كل واحد هيحترم مكانه. بعد كده، ممكن هنلاقي نفسنا بتركب الميكروباس بطابور. ممكن تبتدي الأول إن احنا خايفين ندفع فلوس، بس أولادنا بعد كده هيعرفوا إن هي مش فكرة دفع فلوس بس، هي فكرة إن ده نظام وإن هما كانوا صح.

هي دي فكرة إن النظام يقدر يأكل الشعب أي شيء: عايز يأكله الظلم هياكلهوله، عايز يأكله الديمقراطية هياكلهاله.

كل ديكتاتور قال على نفسه ديمقراطي. في الحقيقة، معدش ليها معنى.

الحكومة بيدكي الديمقراطية وممكن يحاكمك عليها، يقولك: «آه إنتي عندك ديمقراطية». وتيجي تعملها، يمस्कك: «تعالى، إنت قلت كده ليه؟» بس براحة بقى، ياخدوكي براحة. يعني يقولك: «في ديمقراطية! مصر كلها ديمقراطية!» أجي اتكلم: «آه كويس، كويس»، براحة يروحوا واخدينه ماسكينه.

ديمقراطية معناها إن كل واحد له صوت، والصوت ده يبقى له قيمته. إنت ممكن توصل قيمة الصوت ده إزاي؟ من خلال انتخابات، من خلال نواب منتخبين اللي يمثلوا منطقة، المنطقة اللي إنت عايش فيها، وإنت توصل طلباتك للنائب ده، والنائب ده يوصل طلباتك إنت للبرلمان، وهو يعني يتكلم بصوتك. إنت كده فؤضته، إن هو يتكلم باسمك يعني. على أساس إنك إنت شايف إن هو واحد قادر وواحد مهتم بمصالح الناس كلها، مش مصالح شخصية.

أنا أسفة جدا، مينفعش متبقاش موفرلي احتياجاتي الأساسية وتطالبي إن أنا اتبع النظام بتاعك. طب هتبعه ليه؟ وأعتقد دي الجاب اللي احنا فيها. يا جماعة مينفعش إن الناس اللي مش لاقية تاكل، يعني مش عارفة تجيب رغيف عيش النهارده أبقي بطالها إنه: «روحي انتخبي».

إنتي انهي أحسن فترة عشتيها في حياتك؟ مش ساعة مبارك ولا لأ؟ أنا في رأيي أنا، أحسن. كان بيسرقنا وناهبنا وكل حاجة، بس كنا عايشين في أمان. يعني كانت الشرطة شغالة. لو أنا قاعد بتكلم معاك في حاجة زي كده، كان زما اتمسكنا. مكانش صح! بس مع احنا شعبنا اللي مش فاهم ديمقراطية صح، ده الصح معنا.

مصر لن تعرف الديمقراطية، سواء في تاريخها أو في القادم، إلا إذا توفر شرط بعينه: إن مصر تدخل عالم الصناعة. الديمقراطية بنت الصناعة. هذا النشاط الإنساني اللي اسمه الصناعة، هو الذي يصنع الشرائح والطبقات الاجتماعية، وفق توزيعه للثروة، ووفق توزيعه للوعي أيضا. الوعي يتم توزيعه وفق المصالح في النظم الصناعية. لكن في عالم الزراعة... الزراعة لا تعرف الديمقراطية. في المجتمعات المتخلفة، الفلاحية الريفية، إنت قدام شريحتين... أمر الأقنان العبيد العمال والأسياد أو الملاك الأراضي... ملهمش تالت. وبالتالي إنت أمام ثقافة لا تسمح بهيراركية تراتبية: تسمح بطرفين لمسألة ملكية الأرض وعمال الأرض. يعني إنت لما يجي يصنع رأي عام حوالين مفهوم العنصرية، مفهوم الإنسانية، مفهوم العمل الفكري والعمل الأدبي والمسرحي والفني، وو إلى آخره... نتبادل فيما بعض حوالين الحرية، حوالين حدودها ومنطقها ووالى آخره... دي قضايا فكرية، ده صراع فكري، وليس صراعا طبقيًا. ده شرط لتوافر الديمقراطية. فإنت ما إنتش قدام أبدا تجربة ديمقراطية، إلا إذا تغيرت الشروط الموضوعية لشكل الطبقي في المجتمع المصري.

سيبك من البلد، بس على مستوى البيت: بحاول اتعلم، وبحاول اتعلم ده على المستوى اللي أنا أملكه. أنا مملكش غير بيتي اللي مفيهوش غير بنتي. اللي أنا بحاول أعمله إن أي قرار بنفكره أو بنخططه، إنه ميبقاش بس عشان هي ماما بتقرر... إنه هي لازم تبقى مشاركة، مشاركة معايا... إنه كثير أوي بتمشي كلامها عليا. وأحيانا كتيرة بقعد أقولها: «أنا غلطانة إن أنا اديتك الحرية إنك تقولي رأيك»، لأنه بتكتشفي، لما بتحاولي تمارسي ده علشان تتعلميه، إنه بيتطلب منك مجموعة من المهارات احنا فاقدينها تماما. زي إزاي تكوميونيكيت مع اللي قدام منك، إزاي تنصتيله كويس، إزاي تديله المساحة إنه يعبر عن رأيه، إزاي تقدري إنه تخلي نوع من التفاعل ما بينك وبين بعض عشان تقررروا سوا ويبقى عندكوا إنتوا الاتنين قناعة بإن القرار اللي خدناه ده. يعني عملية صعبة جدا!

تقابل الرأي والرأي الآخر دي ديمقراطية بالنسبالي. أنا مثلا عندي اتنين من صحابي مختلفين: أنا أروح لصاحبي اللي قابل مني الكلام، إذا قبل الكلام ماشي... أروح للتاني. هنا الديمقراطية: الاتنين قبلوا الرأي. اللي عايز يطبق كلمة ديمقراطية أو حرية، يطبقها في بيته الأول، وعلى نفسه، ويجي يطبقها بعد كده على الشعب أو على حد هو عايز يسمع كلامه ويسمع رأيه.

والله لسه... لسه... لسه. الفترة، المرحلة دي لسه مجتش، لسه. إن أنا أقول براحتي وأتكلم براحتي؟ لسه. دلوقتي، كل واحد معاه ديمقراطية عن نفسه، كل واحد مع نفسه ديمقراطي.